الاستغلالُ الظالمُ للنُّصوصِ المقدَّسةِ لدى الإرهابيِّين

«الكتابُ المقدَّس أُنموذجًا»

الشريف حاتم بن عارف العوني(*)

المقدمة:

الحمدُ للهِ الرحمنِ الرحيمِ، البَرِّ الودودِ اللطيفِ الكريمِ، القائلِ: **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** [الأعراف: ١٥٦] ، والصلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالَمِينَ، وعلى أزواجِه وآلِه إلى يومِ الدِّينِ.

أما بعدُ:

فعلى الرَّغمِ من اتِّفاقِ العقلاءِ والأسوياءِ على استنكارِ أعمال التطرُّف والإرهاب والاعتداء على الأنفسِ والأعراضِ والممتلكاتِ، على الرغم من أن الجميع يُجرِّمُها ويُحرِّمُها ويُطالب بمعاقبة مُرتكبي أعمالها الإجرامية والتخريبية -إلا أنهم قد يختلفون في تحديد مصدرِها، وفي تعيين مَنبَعِها، ويتباينون في محاولة التعرُّفِ على اسْتِمْدَادِها الفكري والعَقَدي؛ لأنها أعمال إجرامية يزعُمُ أصحابُها الممارسون لفظائعها أنهم يقومون بها لغرض إيماني ولهدف عقائدي!!

ودائمًا ما يستدلُّون على أعمالهم المُستَشنَعةِ بنصوص مقدسة، أو بأقوال علماء دين من السابقين أو المعاصرين، لكي يُقنعوا أنفسَهم والمغرَّرَ بهم ممن يَدعُونَهُ إلى فكرهم أنهم يتبنَّون منهجًا ربانيًا يستحق المخاطرة والفداء؛ لأن عاقبته: إما إلى النصر، أو إلى الدخول في رضوان اللهَّ بالشهادة في سبيلِه.

وحاشا كلِّ دينٍ رباني وملَّة سماوية وكلِّ حكمةٍ بشريةٍ من أن تدعو للإرهاب والعدوان وتخويفِ الآمنين، لا يُمكن أن يقبل عاقلٌ تصحيحَ تلك النسبة الجائرة إلى التوراة أو الإنجيل أو القرآن، ولا إلى أي حكمة بشرية تستحقُّ وصفها بالحكمة، وبأن تكون محَلَّ احترام!

إذ كيف يُمكن أن يكونَ الخالقُ عزَّ وجلَّ بعدله ورحمته وبتحريمه الظلمَ على نفسه مُجيزًا لعباده الظلمَ والبغيَ؟! وكيف يُمكن أن تكون هناك حكمةٌ بشريةٌ وهي تدعو إلى خلاف الحكمة من معاقبة البريءِ وسفك الدماء المعصومة وانتهاك الأعراض المصونة واستباحة الأموال المحرَّمة؟!

مع ذلك، فإننا نجدُ بعض من يُحارب الإرهابَ مَن قد يُصدِّق أن دِينًا ما يدعو للاعتداء والظلم! ونجدُ كثيرًا ممن يدعو للاعتدال ونبذ التطرف هو نفسه يُوافق الإرهابيين ويصحِّح استدلالهم ببعض النصوص المقدسة على أنها تدعو فعلًا للقتل والتدميرِ! ونجدُ منابرَ تدعو للسلام، لكنها في الوقت نفسه توزِّع صكوك حرمانٍ من السِّلميَّة على من خالفها في الدين أو الفكرِ، وتوجِّهُ دائمًا أصابعَ الاتهام بالإرهابِ والتشددِ على مخالفيها، بحجج مُستلَّة من نصوص مُبتَسَرة من النصوص المقدسة لدينِ مخالفيهم، هي نفسها حجج المتطرفين الغُلاة فعلًا!

وأكثرُ الأديان قد مُورِسَ عليه هذا الظلمُ في العصرِ الحديثِ هو دِينُ الإسلامِ:

- دينُ الرحمةِ والسَّلامِ، فقال تعالى عن رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**(*107*) [الأنبياء: ١٠٧] ، وقال سبحانه عن القرآن

الكريم: **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** [المَائدة: ١٦] (*).

- دينُ الحقِّ والعدلِ والإحسانِ: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(90)** [النّحل: ٩٠].

- دينٌ يأمر بالكلمةِ الطيبةِ مع كلِّ أحد: **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** [البَقَرة: ٨٣].

- دينٌ يأمر بالعدلِ حتى مع المُحارِب من غير المسلمين: **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** [المَائدة: ٨] ، بل يجعلُ إكرام أسيرِ الحرب غيرِ المسلم من صفات أهل الجنة: **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا .(8)وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ ...إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)**

- دينُ العلمِ والحضارةِ؛ باستخلافه الإنسانَ في الأرضِ، فقال تعالى عن آدم عليه السَّلام: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** [البَقَرة: ٣٠]، وقال سبحانه عن داود عليه السَّلام: **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ** [ص: ٢٦] ، وقال تعالى في تفضيل العلم وأهله: **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾** [المجَادلة: ١١]، وقال سبحانه: **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** [الزُّمَر: ٩]، وقال تعالى: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** [فَاطِر: ٢٨]، وأمر عزَّ وجلَّ باستغلال خيرات الأرض، فقال تعالى: **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ**

الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15) [المُلك: ١٥]، وأمر سبحانه بإصلاحِ الأرض وعدم إفسادها: **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** [الأعراف: ٥٦]، بل لقد ذكر تعالىٰ من يُحسِنُ بعض القول ويُسيءُ الفعلَ قتلًا وإهلاكًا، كهؤلاء الإرهابيين، فقال تعالىٰ: **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ** (204) **وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**(205)

وهذا الظلمُ الذي أساءَ إلىٰ الإسلامِ كان أشدُّه وأكثرُه ألـمًا في الوقتِ الحاضرِ ما مارسه بعضُ أبنائه والمُنتمِينَ إليه، من المتطرِّفين المُنتسِبين للإسلامِ، ممن مارسوا القتل والتدمير والإجرام تحت شعاراتٍ دينيةٍ ونصوصٍ قرآنيةٍ أو نبويةٍ! فأجرموا في الفهمِ كما أجرموا في العمل، وظلموا في الاستدلال كما ظلموا في الفعالِ، واعتدَوا علىٰ نصوص الكتاب والسنة قبل أن يعتدُوا علىٰ عبادِ اللهِ وأرضِ اللهِ!

ومع أن علماءَ المسلمين ما أكثرَ ما ردُّوا علىٰ أولئك المتطرِّفين، وبيَّنوا سُوءَ فَهمِهم للنصوصِ، وأعلنوا شدة بُعدِهم عن إدراك معانيها، وأوضحوا براءةَ الإسلام ونصوصه المقدَّسة من كلِّ ظلم واعتداء مما ينسُبُه الإرهابيون إليها -إلا أننا ما زلنا نسمعُ ونقرأُ من يُهاجم الإسلامَ بتلك النصوصِ وبفهم الإرهابيين لها!! وما زلنا نُقابل أناسًا ما زالوا مُقتنعين أن الإسلام بنصوصه المقدَّسة يُبيحُ العدوانَ والظلمَ وترويعَ الآمنين!

فعلمتُ أن المشكلةَ ليست تنحصرُ في تقصيرِ علماء المسلمين في بيان الفهمِ الصحيحِ لتلك النصوصِ، الذي يَنْأَىٰ بها عن أفهام أصحاب الغُلُوِّ ويُبرِّئُها منِ استدلالاتِ الإرهابيين؛ لأن العلماءَ المعتبرين الوسَطيِّين قد فعلوا ذلك قديمًا وحديثًا، وإنما المشكلة في المتلقِّين من غير المسلمين، ممن يُسيء الظنَّ بالإسلام والمسلمين، بسبب الإعلام الذي يَفقِدُ الحِيادَ والموضوعيةَ في كثيرٍ من الأحيان، وبسبب صورة نمَطية سيِّئة عن الإسلام ما زالت تُستجلَبُ منذ العصور الوسطىٰ المظلمة، تسلَّلَت إلىٰ ذهن أبناء الحضارة المعاصرة من خلال تاريخ متغلغل في النفوس، وأدبيات تستبطن تلك الصورة السيئة، التي هي نِتاجُ عَداوات وحروب لم تكن مبنية علىٰ أساس موضوعي مُنصف!

وحتىٰ يفهم المتَّهِمون للإسلامِ أنهم ظالمون له؛ باجتزائهم لبعض نصوص القرآن والسُّنَّة من سياقها العامِّ، وبإخراجها عن أصولِ الدينِ الإسلاميِّ التي تُحكِمُ معناها وتَحكُمُ فهمَها، أحببتُ أن أُبيِّنَ أن مثلَ هذه الاجتزاءاتِ الجائرةِ والفُهومِ غير العلمية للنصوصِ لن يقتصرَ ظُلمُها وإساءتُها علىٰ الإسلام وحده، وعلىٰ نصوصه المقدسة دونما سواه، بل ستَطالُ بذلك الظلم والإساءة نصوصَ أديانٍ أخرىٰ، كاليهودية والنصرانية!

فاليومَ جئتُ أدافعُ عن الإسلامِ من خلال إحسانِ الظنِّ بنصوصٍ وردت في الكتاب المقدَّس عند أهل الكتابِ من اليهودِ والنصارىٰ، يُمكِنُ أن تكون حُجَجًا لإرهابيين من أتباع الديانتين اليهوديةِ والمسيحيةِ، وقد كانت فعلًا كذلك، قديمًا

وحديثًا!! فهل أجاز ذلك اتهامَ اليهودية أو المسيحية بأنها أديانٌ تدعو للإرهابِ والإجرامِ؟! أم كانت لتلك النصوصِ في الكتاب المقدَّس معانيها الدقيقة، التي لا بد من إرجاعها إلى أصولِ تلك الأديانِ الداعيةِ للسلامِ والرحمةِ بين الناسِ أجمعين؟!

لذلك سأذكُرُ خلال المباحثِ التاليةِ نصوصًا من الكتاب المقدس(*) كانت حُجَجًا للمتطرِّفين اليهود والنصارى، ولا نَشُكُّ في براءة هذه الأديانِ من تلك الفهومِ الخاطئةِ من تلك النصوصِ!

فهل نجدُ من غير المسلمين إنصافًا كإنصافِنا إياهم؟!

* * *

- «مَا جِئْتُ لأحمل سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا»:

نعم هذا ما جاء على لسان المسيح عليه السَّلام، كما في إنجيل متى (١٠:٣٤-٣٦): «لا تظنُّوا أني جئتُ أحمُل السَّلامَ إلى الأرضِ، ما جئتُ لأحملَ سلامًا، بل سيفًا، جئتُ لأُفرِّقَ بين المرء وأبيه، والبنتِ وأمِّها، والكَنَّةِ وحماتِها، فيكونَ أعداءُ الإنسانِ أهلَ بيتِه».

وفي إنجيل لوقا (١٢: ٤٩-٥٣): «جئتُ لألقيَ على الأرض نارًا، وما أشدَّ رغبتي أن تكون قد اشتعلت! وعليَّ أن أقبل المعمودية، وما أشدَّ ضيقي حتى تتم.

أتظنون أني جئتُ لأُحِلَّ السَّلامَ في الأرضِ؟ أقول لكم: لا، بلِ الانقسامَ؛ فيكون بعد اليوم خمسةٌ في بيت واحد مُنقسمين، ثلاثةٌ منهم على اثنين، واثنان على ثلاثة،

سينقسمُ الناس فيكون الأبُ على ابنه، والابنُ على أبيه، والأمُّ على ابنتها، والبنتُ على أمها، والحماةُ على كَنَّتِها، والكَنَّةُ على حماتِها».

فلو اجتُزِئَ مثل هذا النصِّ، ألم يكن دليلًا قاطعًا على التعطش للدماء، وعلى امتداح الفُرقة واستباحة الأقربين قبل من سواهم؟!

نعم فُسِّرت النارُ التي جاء المسيح ليُلقِيَها على الأرض -كما عند لوقا- بعدد من التفاسير التي لا تجعل فيها مُستنَدًا لإحراق الناس والممتلكات، وكلِّ مَن على وجه الأرض، كما يُوهِمُ بذلك ظاهرُ النص.

فقد فُسِّرَت: بأنها نار تُطهِّرُ القلوب، كما قال يوحنا المعمدان -يحيى عليه السَّلام- عن المسيح عليه السَّلام: «إنه سيُعمِّدُكم في الرُّوحِ القُدُسِ والنارِ» (لوقا: ٣: ٢٣).

وكما جاء في سفر أشعياء (٦:٦-٩) من أن ملَكًا طهَّر شفتيه بنارِ جمرةٍ.

حتى هذا التفسير: هل كان هو مُستنَدَ الكنيسة في العصور الوسطى في حرقها للكفار والمُهرطقين؛ لِتُطهِّرَهم من الرُّوح الشيطانية التي حلَّت بهم؟!

❊ ❊ ❊

- الإكراهُ على الدِّينِ:

جاء في إنجيل لوقا (١٩ : ٢٧): «أما أعدائي، أولئك الذين لم يُريدوني مَلِكًا، فَأْتُوا بهم إلى هنا، واضربوا أعناقَهم أمامي».

هل على هذا النصِّ اعتمدت محاكمُ التفتيشِ المسيحيةُ في القرون الوُسطى في قتلها وحرقها لكلِّ من اتهمتهُ بالكفر والهرطقة؟!

وهذا ما ذكره جرجي الحداد(*) في كتابه «تاريخ وفظائع ديوان التفتيش: في البرتغال وإسبانيا»(*)، حيث حمَّل هذا النصَّ مسئولية ما كانت ترتكبهُ محاكمُ التفتيش من قتل وحرق وتعذيب لكلِّ من خالفَ المسيحيةَ الكاثوليكيةَ.

* * *

- جرائمُ الإبادة باسم الربِّ -سبحانه عن ذلك وتعالىٰ- واستباحةُ قتل المدنيِّين حتىٰ الأطفال والنساء والطاعنين في السنِّ:

جاء في سفر حزقيال (٩: ٥-٧): «اجتازُوا في المدينة وراءه واضْرِبُوا، لا تعطفْ عيونُكم ولا تُشْفِقُوا، اقتلوا الشيخَ والشابَّ والعذراءَ والطفلَ والنساءَ حتىٰ الفَناءِ، ولكن مِن كُلِّ مَن عليه صليبٌ فلا تَدنُوا، ابدءوا من مقدسي، فابدءوا من الرجال الشيوخ الذين أمام البيت. وقال لهم: نجِّسوا البيت واملئوا الأفنيةَ من القتلىٰ. اخرجوا! فخرجوا، وضربوا المدينةَ».

وفي سفر يشوع يصفُ فتح بني إسرائيل لأريحا بقيادة يشوع (٦: ٢١): «وحرَّموا كلَّ ما في المدينة من الرجلِ وحتىٰ المرأةِ، ومن الشابِّ حتىٰ الشيخِ، حتىٰ البقر والغنم والحميرِ، فقتلوهم بحدِّ السيفِ».

وفي سفر يشوع أيضًا (١١: ١١): «وضربوا كل نفسٍ بحدِّ السيف محرِّمين إياهم، ولم تبقَ نسمةٌ».

وفي سفر العدد من التوراة (٣١: ١٧-١٨): « والآنَ فاقْتُلُوا كُل ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ، واقتلوا كُل امْرَأَةٍ عَرَفَتْ بِمُضَاجَعَةِ رجلٍ، وأما إناثُ الأطفال اللَّواتي لمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ الرجالِ فاستبقوهنَّ لكم».

وفي سفر صموئيل الأول (١٥: ٣) يأمره الربُّ بما يلي: «فهلمَّ الآن واضرب عماليقَ، وحرِّم كلَّ ما لَهم، ولا تُبقِ عليه، بل أَمِتِ الرجالَ والنساءَ والأولادَ حتى الرُّضَّعَ والبقرَ والغنمَ والإبلَ والحميرَ».

فمع ما ظاهره استباحةُ دم الأطفال والنساء صغارًا وكبارًا والشيوخ الطاعنين في السنِّ على مجرد اختلاف الدينِ، أو على الاختيار الحرِّ من الأفعال؛ فلم ينجُ من هذه الاستباحة الشاملة حتى بيوت العبادة المقدسة، بل جاء الأمرُ بالبدء منها!!

هل هذا هو ما يُفسِّرُ أفعال الحروب الصليبية التي كانت باسم المسيحية والفاتيكان؟! والمذبحة العظيمة التي مارستها الجيوشُ الصليبيةُ باسم اللهَّ في المسجد الأقصى في عام (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م)؟!

ولن أذكرَ هنا ما ذكره المؤرخون المسلمون عن تلك المذبحة الرهيبة التي ارتُكبت باسم المسيحية، بل سأذكر ما ذكره المؤرخُ الصليبيُّ وليم الصوري «William of Tyre» (ت. ١١٨٥م)، وهو رئيس أساقفة صور ومستشار الملك بلدوين الرابع (ت: ٥٨٠هـ- ١١٨٥م) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، وكتابُه في التأريخ للحروب الصليبية من أشهرِ الكتبِ، وهو بعنوان: «الأعمال المنجزة فيما وراء البحار».

فقد قال في تاريخه لمذبحة بيتِ المَقدِسِ: «وقتلوا جميعَ من صادفوا من الأعداءِ، بصرف النظر عن العُمُرِ أو الحالة ودونما تمييزٍ، وقد انتشرت المذابحُ المُخيفةُ في كل مكانٍ، وتكدَّست الرءوس المقطوعة في كلِّ ناحيةٍ، بحيث تعذَّرَ الانتقالُ على الفور من مكان لآخر؛ إلا على جثث المقتولين»(*).

ثم ذكر أن الناسَ لجئوا إلى المسجد الأقصى -ساحة الهيكل، كما كان يُسمِّيها- ظانِّين أنها ستَحميهم، فذكر المذبحة داخلَ المسجد الأقصى، وأنهم قتلوا جميعَ مَن فيه، قائلًا: «لقد كان بالفعل حُكمُ اللهِّ القويمُ الذي قضى على الذين دنَّسوا حَرَمَ المسيح بطقوسهم الخرافية، وجعلوه مكانًا غريبًا بالنسبة لأهله المؤمنين أن يُكَفِّروا عن خطاياهم بالموتِ، وأن يُطهِّروا الأروقة المقدسة بسفك دمائهم...»، وذكر أن الأرضَ أصبحت مغطَّاةً بالدماء وبالجثث وبالرءوس، حتى ذكر أن عدد من قُتِلَ داخلَ المسجد الأقصى فقط كانوا عشَرة آلاف من الكفرة، كما قال(*).

***

- المسالمون يُستَعبدون، والذين يَرفُضون الاستعبادَ يُبادون!

جاء في التوراة في سفر تثنية الاشتراع (٢٠: ١٠-١٧): «وإذا تقدَّمتَ إلى مدينة لتُقاتلَها، فادعُها أولا إلى السِّلْم، فإذا أجابت بالسِّلم، وفتحَت لك أبوابَها، فكلُّ القوم الذي فيها يكون لك تحت السُّخْرة ويخدُمُك. وإن لم تُسالِمك، بل حاربَتك، فحاصرتَها، وأسلَمها الربُّ إلهك إلى يدك: فاضرب كلَّ ذكرٍ بحدِّ السيف، وأما

النساءُ والأطفالُ والبهائمُ وجميعُ ما في المدينة من غنيمةٍ، فاغتنمها لنفسك، وكُلَّ غنيمةَ أعدائك التي أعطاك الربُّ إلهُك إياها.

هكذا تصنعُ بجميع المدن البعيدة منك جدًّا، والتي ليست من مُدُنِ تلك الأمم هنا، فأما مدن تلك الشعوب التي يُعطيك الربُّ إلـهُك إياها ميراثًا، فلا تَستَبقِ منها نسمةً، بل حرِّمهم تحريمًا: الحِثِّيين والأَموريين والكنهاميين والفرِزِّيّين والـحُوِّيّين واليَبوسِيين، كما أمرك الربُّ إلهُك».

وهكذا.. ووَفقَ ظاهر هذا النص: فالأقربون من الجيرانِ أَولى بالمعروف!! لكنه معروفُ الإبادةِ الجماعيةِ! حتى الاستعباد ليس خيارًا متاحًا لهم!!

***

- أعدادُ القتلى في الحربِ الواحدةِ:

لو نظر الناظرُ في أعداد القتلى المذكورة في الكتاب المقدَّس لعُدَّ ذلك بمثابة حربٍ عالميةٍ، بالنسبة لعدد البشريةِ في تلك الأزمانِ السحيقةِ، من قلة عددِ الناس على وجه الأرض عمومًا.

ثم إن النظرَ في عدد القتلى في معركةٍ واحدةٍ من معارك بني إسرائيل يفوقُ بعشَراتِ الأضعافِ -بل بمئاتٍ- عددَ القتلى في مَغازي رسول اللهِّ صلى الله عليه وسلم جميعِها الواردةِ في السيرةِ النبويةِ.

ففي سفر أستير (٩: ١٦) عن اليهود أنهم: «قتلوا من مُبغضيهم خمسةً وسبعين ألفًا، ولكنهم لم يَمُدُّوا أَيدِيَهم إلى غنيمةٍ».

وفي سفر يشوع (٨: ٢٥): «وكان جملةُ مَن سقط في ذلك اليومِ من رجلٍ وامرأةٍ اثنَي عشَرَ ألفًا: جميعَ أهل العَيِّ»

وفي سفر صموئيل الثاني (٨): «وأقام داودُ لنفسه اسمًا عند رجوعِه، بعدما قتلَ ثمانيةَ عشَرَ ألفًا من الأراميين في وادي الملحِ».

***

- وسائلُ التعذيبِ والقتلِ في الكتابِ المقدَّسِ:

حرقُ الهاربين المُختبئين بالنارِ أحياءً (رجالًا ونساءً): جاء في سفر القضاة (٩: ٤٩) أن بني إسرائيل تَبِعُوا أهل مدينةٍ اختبئوا منهم في سردابٍ أو برجٍ: «وأَحرَقُوا عليهم السردابَ بالنارِ، فمات جميعُ أهل مِـجدال شَكيم، نحو ألف نسمةٍ من رجلٍ وامرأةٍ».

قتلُ الأطفال أمامَ أَعيُنِ والديهم واغتصابُ النساءِ: ففي سفر أشعياء (١٣: ١٥-١٦) يذكر العقوبة العادلة التي ستَلحَقُ بالكفار بتقدير الربِّ سبحانه وتعالىٰ: «وكلُّ من صُودِفَ طُعِنَ، وكلُّ من أُخِذَ سقط بالسيفِ، وأطفالُهم يُسحَقون بمرأىٰ منهم، وبيوتُهم تُنهَبُ، ونساؤهم تُغتصَبُ».

النشرُ بالمناشيرِ والتقطيعُ بآلاتِ الحصادِ والحرثِ: ففي سفر الأخبار الأول (٢٠: ٣) يقول عن داود عليه السَّلام: «وأَخرَجَ الشعبَ الذي فيها، وجعله علىٰ المناشير علىٰ نوارجِ(*) الحديدِ وفئوس الحديد، وهكذا صنع داودُ بجميع مُدُنِ بني عَمّون».

❋ ❋ ❋

- الاستعبادُ العِرْقيُّ واحتقارُ أُمَمِ الأرضِ ممَّن سواهم:

جاء في قصةٍ لنوح عليه السَّلام، وقصة أبنائه الثلاثة الذين كان منهم جميعُ البشر: سام، ويافث، وحام، وحام هو أبو كنعان، كذا تقولُ التوراةُ -أن نوحًا غَضِبَ على حام، كما في سفر التكوين (٩: ٢٦-٢٧)، فقال: «ملعونٌ كنعانُ، عبدًا يكونُ لعبيد إخوته. مبارَكٌ الربُّ إلهُ سام، وليكن كنعانُ عبدًا له. ليوسِّعِ اللهُ ليافث، وَلِيَسكُن في خيامِ سام، وليكن كنعانُ عبدًا له».

وهكذا يرسِّخُ هذا المقطع مفهومَ العبودية على عِرقٍ معيَّن من البشر، لمجرَّد عرقه ولونه!!

ويجعل خطيئةَ الأب مُلاحِقةً الأبناءَ والأحفادَ إلى قيام الساعة!!

ومن هنا جاءت فكرةُ شعب اللهَّ المختار لدى العُنصريين من الصهاينةِ، فمما جاء في التوراة في سفر تثنية الاشتراع (٧: ٦-٨): «لأنك شعبٌ مقدَّسٌ(❋) للربِّ إلهِك، وإياك اختار الربُّ إلهُك لتكونَ له شعبَ خاصَّتِه من جميع الشعوبِ التي على وجه الأرض. لا لأنكم أكثرُ من جميع الشعوب تَعلَّقَ الربُّ بحبِّكم واختارَكم، فأنتم أقلُّ من جميع الشعوب، بل لمحبة الربِّ لكم، ومحافظتِه على القسَم الذي أَقسَمَ به لآبائكم أَخرَجَكم الربُّ بيدٍ قويةٍ، وفَداكَ من دار العبوديةِ مِن يدِ فرعونَ ملكِ مصرَ».

وفي إنجيل مرقس (٧: ٢٤-٣٠) يذكر الإنجيلُ أن امرأةً ليست يهوديةً جاءت إلىٰ المسيح عليه السَّلام بابنتها الصغيرة، وكانت مجنونةً، تطلبُ منه شفاءَها، فقال لها المسيحُ: «دعي البنين أولًا يشبعون، فلا يَحسُنُ أن يُؤخَذَ خبزُ البنين، فيُلقىٰ إلىٰ صغار الكلابِ. فأجابت: نعم يا ربِّ، ولكن صغار الكلابِ تأكُلُ تحت المائدةِ من فُتاتِ الأطفالِ»، وبعد ذلك مَنَّ عليها المسيحُ عليه السَّلام بشفاءِ ابنتها، بعد أن أقرَّت أن من سوىٰ بني إسرائيل كلابٌ لا يستحقُّون إلا فُتاتَ مائدةِ بني إسرائيل!

ونحو هذه القصة في إنجيل متىٰ (١٥: ٢١-٢٨)، وفيها يقولُ لها المسيح عليه السَّلام: «لم أُرسَل إلا إلىٰ الخرافِ الضالَّةِ من بيت إسرائيل».

- كيف فَهِمَ العقلاءُ المُنصِفون هذه النصوصَ:

هذه النصوصُ كما كانت هي حُجَّةُ الأعمال الإجرامية التي تُرتكَبُ باسمِ اليهوديةِ والمسيحيةِ قديمًا وحديثًا، فقد فَهِمَها العقلاءُ من اليهود والنصارىٰ وغيرُهم فهمًا صحيحًا، بإرجاعِها إلىٰ أصولِ الأديان وقواعدِها الكبرىٰ، التي تدعو للسلامِ والمحبةِ والإحسانِ، ولاحترامِ الحرياتِ واختلافِ البشرِ!

فلا يُمكن أن تُفهم تلك النصوصُ بمعزلٍ عن نصوصٍ أخرىٰ توضِّح رُوحَ الدين ورسالته الكبرىٰ، مِن مِثل:

ما جاء في إنجيل متىٰ (٥: ٣٩-٤٨): «مَن لَطَمَكَ في خدِّك الأيمنِ، فاعْرِضْ له الآخرَ. من أراد أن يُحاكمك ليأخذَ قميصَك، فاترُك له رداءك. ومن سخَّرَك لتسيرَ

معه ميلًا واحدًا، فَسِر معه ميلين. من سألك فأعطه، ومنِ استقرضك فلا تُعرِض عنه. سمعتُم أنه قيل: أحبب قريبَك وأبغض عدوَّك، أما أنا فأقولُ لكم: أحبوا أعداءَكم، وصَلُّوا من أجل مُضطَهديكم، لتصيروا بني أبيكم الذي في السماوات؛ لأنه يُطلع شمسَه على الأشرارِ والأخيارِ، ويُنزل المطرَ على الأبرارِ والفجَّارِ. فإن أحببتم مَن يحبُّكم، فأيُّ أجرٍ لكم؟! أوَليس الـجُباةُ يفعلون ذلك؟! وإن سلَّمتم على إخوانكم وحدهم، فأيَّ زيادةٍ فعلتُم؟! أوليس الوثنيُّون يفعلون ذلك؟! فكونوا أنتم الكاملين، كما أن أباكم السماويَّ كاملٌ».

وفي إنجيل لوقا (٦: ٢٧-٣٨): «أحبُّوا أعداءكم، وأحسِنوا إلى مُبغضيكم، وباركوا لاعنيكم، وصلُّوا من أجل المُفترين الكذبَ عليكم. مَن ضربك على خدِّك الأيمن، فاعرِض له الآخرَ...»، إلى أن قال: «كونوا رحماءَ كما أن أباكم رحيم، لا تَدينوا فلا تُدانوا، لا تحكُموا على أحد فلا يُحكَم عليكم، اعفوا يُعْفَ عنكم، أَعطوا تُعْطَـوْا».

وعندما أراد أحدُ الحواريين الدفاع عن المسيح عليه السَّلام بالسيفِ، انتهره المسيحُ، وقال له، كما في متى (٢٦: ٥٢): «اغمِد سيفَك، فكلُّ من يأخذُ بالسيف؛ بالسيف يُهلَكُ».

وفي سياق قَبولِ التعايشِ مع المختلِفِ ما كان هو يقبلُ التعايشَ، يقول المسيح عليه السَّلام في لوقا (٩: ٥٠): «مَن لم يكُن عليكم؛ كان معكم». وفي مرقس (٩: ٤٠): «من لم يكُن علينا؛ كان معنا».

وهذه العبارةُ عكس كلمة بوش الابن -الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية- والذي ربما تكلَّمَ باسم الربِّ في خطابات كثيرة، عندما قال: «من ليسَ معنا فهو ضدُّنا»!!

إن مثلَ هذه النصوصِ كان يجبُ أن تكون هي منطلَقَ فهمِ بقية النصوصِ الواردةِ في الكتاب المقدَّس؛ لأنها هي النصوصُ التي لا يصلُحُ أمرُ البشرية إلا بها! فهي النصوصُ التي تنشُرُ المحبة والسَّلام والتفاهم بين الناسِ.

وكما وُجدت هذه النصوصُ في الكتابِ المقدَّسِ، واستغلَّها متطرِّفو اليهود والنصارىٰ قديمًا وفي العصر الراهن من أجلِ القتلِ والإرهابِ، وكانوا في استغلالهم لها مُخطئين، ولم يكن ذلك مبرِّرًا لاتهامِ اليهوديةِ أو النصرانيةِ بتبنِّي الإرهابِ عقيدةً ومنهجًا، كذلك الشأنُ في الإسلامِ دينِ السَّلامِ!!